4

قصص من وحى الحديث الشريف

حديقة الرجل الصالح

بقلم

عبد الحميد عبد المقصود

رسوم

عبد الشافى سيد



زَمَان .. زَمَان ..

قَبْلَ بَعْثَةِ النَّبِىِّ مُحَمَّدٍ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ)،

عَاشَ رَجُلٌ صَالِحٌ ..

كَانَ هَذَا الرَّجُلُ صَالِحًا بِكُلِّ مَا تَحْمِلُهُ كَلِمَةُ الصَّلَاحِ مِنْ مَعَانٍ ..

فَقَدْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ تَقِيًّا، يُؤَدِّى فَرْضَ اللهِ تَعَالَى، وَيُرَاقِبُهُ فِى كُلِّ تَصَرُّفٍ مِنْ تَصَرُّفَاتِهِ .. وَكَانَ مُحِبًّا لِلْخَيْرِ، وَقَوْلِ الْحَقِّ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ..

وَقَدْ أَنْعَمَ اللهُ تَعَالَى عَلَى هَذَا الرَّجُلِ الصَّالِحِ، إِلَى جَانِبِ نِعْمَةِ الدِّينِ بِنِعَمِ الدُّنْيَا، فَأَعْطَاهُ حَدِيقَةً كَبِيرَةً .. وَقَدْ بَذَلَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ كُلَّ جَهْدِهِ فِى الْحَدِيقَةِ، حَتَّى صَارَتْ كَأَنَّهَا جَنَّةٌ صَغِيرَةٌ عَلَى الْأَرْضِ .. زَرَعَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ حَدِيقَتَهُ بِأَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْمَزْرُوعَاتِ، فَكُنْتَ تَجِدُ فِيهَا الْأَشْجَارَ الْمُثْمِرَةَ، وَتَجِدُ فِيهَا أَنْوَاعًا مِنَ الْخُضَرِ وَالْفَاكِهَةِ كَالنَّخِيلِ وَالْكُرُومِ وَالتُّفَّاحِ وَالرُّمَّانِ وَغَيْرِهَا ..



وَقَدْ أَحاطَ الرَّجُلُ حَدِيقَتَهُ بِسِيَاجٍ مِنَ الْأَشْجَارِ الظَّلِيلَةِ ، فَكَانَ الْمُسَافِرُ يَجِدُ الرَّاحَةَ وَالْأَمَانَ فِى ظِلِّ هَذِهِ الْأَشْجَارِ ، وَيَجِدُ الطَّعَامَ فِى ثِمَارِهَا ، وَيَجِدُ الْمَاءَ الْعَذْبَ فِى الْجَدَاوِلِ الرَّقْرَاقَةِ الْمُتَدَفِّقَةِ حَوْلَهَا ..

وَكَانَ عَابِرُ السَّبِيلِ يَجِدُ الطَّعَامَ وَالْمَأْوَى فِى حَدِيقَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ ..

وَكَانَتِ الطُّيُورُ تَجِدُ غِذَاءَهَا مِنَ الْحَبِّ ، وَمِنْ ثِمَارِ الْفَوَاكِهِ فِى حَدِيقَةِ الرَّجُلِ ، فَكَانَتْ تَحُطُّ آمِنَةً وَتَلْتَقِطُ طَعَامَهَا ، فَلَا يُزْعِجُهَا أَحَدٌ ..

وَكَانَتِ الْبَهَائِمُ وَالْمَوَاشِى السَّائِبَةُ تَجِدُ فِى الْحَشَائِشِ وَالْأَعْشَابِ وَالنَّبَاتَاتِ الَّتِى تَنْبُتُ حَوْلَ الْحَدِيقَةِ طَعَامًا سَائِغًا لَهَا ، فَلَا يَهُشُّهَا أَحَدٌ أَوْ يُعَكِّرُ صَفْوَهَا أَحَدٌ ..

بِاخْتِصَارٍ كَانَتْ حَدِيقَةُ الرَّجُلِ الصَّالِحِ جَنَّةً فِى الْأَرْضِ ، تَفِيضُ بِنِعَمِهَا عَلَى مَخْلُوقَاتِ اللهِ .. وَبِسَبَبِ ذَلِكَ فَقَدْ بَارَكَ اللهُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ فِى حَدِيقَتِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ يَجِدُ مَشَقَّةً كَبِيرَةً فِى زِرَاعَتِهَا أَوْ سَقْيِهَا أَوْ حَصْدِ مَزْرُوعَاتِهَا ..

وَبَارَكَ لَهُ فِى أَوْلَادِهِ ، فَكَانُوا صَالِحِينَ مِثْلَ أَبِيهِمْ الصَّالِحِ ، وَمُطِيعِينَ للهِ وَلِلْوَالِدَيْنِ ، مُؤَدِّينَ حُقُوقَهُمْ جَمِيعًا ..

كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ يَزْرَعُ حَدِيقَتَهُ فِى وَقْتِ الزَّرْعِ .. ثُمَّ يَتَعَهَّدُ هَذَا الزَّرْعَ بِالْعِنَايَةِ وَالرِّعَايَةِ ، فَإِذَا حَانَ وَقْتُ حَصَادِهِ ، أَعْلَنَ بَيْنَ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَالْيَتَامَى ، أَنَّهُ سَوْفَ يَحْصُدُ



حَدِيقَتهُ بَعْد يَوْمٍ أوْ يَوْمَيْنِ ، وَأنَّهُ يَدْعُوهُمْ جَمِيعًا كَيْ يَأْتُوا إِلَى حَدِيقَتِهِ ، لِيَأْخُذُوا نَصِيبَهُمْ الْمَعْلُومَ مِنْ ثِمَارِ الْحَدِيقَةِ ..

نَعَمْ فَقَدِ



اعْتَادَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَنْ يُخْرِجَ ثُلُثَ ثِمَارِ حَدِيقَتِهِ حِينَ حَصَادِهَا لِلْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ ..

أَمَّا الثُّلُثُ الثَّانِى فَإِنَّهُ يُنْفِقُهُ عَلَى بَيْتِهِ وَأَوْلَادِهِ ..

وَأَمَّا الثُّلُثُ الثَّالِثُ ، فَإِنَّهُ يَدَّخِرُهُ لِيُنْفِقَ مِنْهُ عَلَى حَدِيقَتِهِ ، فِى شِرَاءِ الْبُذُورِ وَالسِّمَادِ ، وَيَدْفَعُ مِنْهُ أُجُورَ الْعُمَّالِ الَّذِينَ يَسْتَأْجِرُهُمْ لِمُسَاعَدَتِهِ هُوَ وَأَوْلَادِهِ عَلَى الْعَمَلِ فِى حَدِيقَتِهِ ..

هَكَذَا قَسَّمَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ حَصَادَ حَدِيقَتِهِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ بِالْعَدْلِ ، فَلَمْ يَكُنْ يَجُورُ عَلَى قِسْمٍ مِنْهَا أَبَدًا ..

وَهَكَذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ يُرْسِلُ أَوْلَادَهُ إِلَى بُيُوتِ الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ ، لِيُخْبِرُوهُمْ بِمَوْعِدِ الْحَصَادِ ، لِيَأْتِىَ كُلٌّ مِنْهُمْ ، فَيَأْخُذَ نَصِيبَهُ الْمَقْسُومَ مِنْ خَرَاجِ الْحَدِيقَةِ ، فَإِذَا تَخَلَّفَ أَحَدُ هَؤُلَاءِ عَنِ الْحُضُورِ يَوْمَ الْحَصَادِ إِلَى حَدِيقَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ ، كَانَ الرَّجُلُ



الصَّالِحُ يَأْمُرُ أَوْلَادَهُ ، وَعُمَّالَهُ ، أَنْ يَحْمِلُوا نَصِيبَ هَذَا الْغَائِبِ لِيُسَلِّمُوهُ إِلَيْهِ فِى مَنْزِلِهِ ..

وَكَانَ يَوْمُ الْحَصَادِ يَوْمًا أَشْبَهَ بِأَيَّامِ الأَعْيَادِ ، فَالرَّجُلُ وَأَوْلَادُهُ جَمِيعًا فِى غَايَةِ السَّعَادَةِ وَالسُّرُورِ .. فَالأَرْضُ حَوْلَهُمْ مَلِيئَةٌ بِالْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ ، الَّذِينَ جَاءُوا لِيَأْخُذُوا أَنْصِبَتَهُمْ الْمَقْسُومَةَ مِنْ حَصَادِ الْحَدِيقَةِ ، وَالرَّجُلُ الصَّالِحُ فِى غَايَةِ السَّعَادَةِ لِأَنَّهُ يُؤَدِّى حَقَّ اللهِ فِى مَالِهِ ، الَّذِى آتَاهُ اللهُ .. وَالأَبْنَاءُ سُعَدَاءُ لِسَعَادَةِ أَبِيهِمْ ..

فَإِذَا انْتَهَى يَوْمُ الْحَصَادِ ، عَادَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ مَعَ أَوْلَادِهِ إِلَى بَيْتِهِ عِنْدَ الْمَسَاءِ ، فَجَلَسُوا جَمِيعًا لِيَتَنَاوَلُوا طَعَامَ الْعَشَاءِ ..

وَفِى أَثْنَاءِ الطَّعَامِ كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ يُعِيدُ عَلَى أَسْمَاعِ أَوْلَادِهِ جَمِيعًا الْوَصِيَّةَ الَّتِى ظَلَّ يُوصِيهِمْ بِهَا فِى كُلِّ مَوْسِمِ حَصَادٍ ، وَهِىَ أَنْ يُحَافِظُوا عَلَى الْعَهْدِ الَّذِى قَطَعَهُ عَلَى نَفْسِهِ ، مُنْذُ أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ هَذِهِ الْحَدِيقَةَ ، وَهُوَ أَنْ يُخْرِجَ ثُلُثَ حَصَادِ الْحَدِيقَةِ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ ..





هَكَذَا كَانَ الرَّجُلُ يُوصِى أَوْلَادَهُ فِى كُلِّ مَوْسِمِ حَصَادٍ ، وَكَانَ يَطْلُبُ مِنْهُمْ أَلَّا تُسَوِّلَ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَمْنَعُوا هَذَا الْحَقَّ عَنِ الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ ..

وَكَانَ الْأَبْنَاءُ فِى كِلِّ مَوْسِمِ حَصَادٍ ، يُقْسِمُونَ لِأَبِيهِمْ أَنَّهُمْ سَوْفَ يُحَافِظُونَ عَلَى أَدَاءِ هَذَا الْحَقِّ ، فِى حَيَاةِ أَبِيهِمْ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ .. فَإِذَا سَمِعَ الْأَبُ مِنْ أَبْنَائِهِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ اطْمَأَنَّ قَلْبُهُ وَقَالَ لَهُمْ :

« بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ يَا أَبْنَائِى ، طَالَمَا أَدَّيْتُمْ حَقَّ الْفَقِيرِ وَلَمْ تَمْنَعُوهُ عَنْهُ » .

فَإِذَا انْتَهَى الرَّجُلُ الصَّالِحُ مِنْ دُعَائِهِ لِأَبْنَائِهِ بِأَنْ تَعُمَّهُمُ الْبَرَكَةُ ، نَهَضَ لِيَذْهَبَ إِلَى نَوْمِهِ مُسْتَرِيحًا ..

وَهَكَذَا كَانَ هَذَا الْمَشْهَدُ بَيْنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ وَبَنِيهِ يَتَكَرَّرُ مَعَ كُلِّ مَوْسِمِ حَصَادٍ ..

وَتَمْضِى الْأَيَّامُ وَالسَّنَوَاتُ وَالرَّجُلُ الصَّالِحُ مُوَاظِبٌ عَلَى أَدَاءِ عَادَتِهِ مَعَ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ..

وَيُلَاحِظُ الْأَبُ وَأَبْنَاؤُهُ ظَاهِرَةً غَرِيبَةً بَدَأَتْ تَحْدُثُ فِى حَدِيقَتِهِمْ فِى السَّنَوَاتِ الْأَخِيرَةِ .. ظَاهِرَةً لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَجِدَ لَهَا تَفْسِيرًا سِوَى الرَّجُلِ الصَّالِحِ نَفْسِهِ ، الَّذِى اسْتَنْبَطَ سِرَّ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ وَعَرَفَهُ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ ..

وَفِى الْحَقِيقَةِ لَمْ تَكُنْ ظَاهِرَةً وَاحِدَةً ، بَلْ عِدَّةَ ظَوَاهِرَ مُتَعَدِّدَةٍ ..

لَاحَظَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ وَأَبْنَاؤُهُ فِى الْبِدَايَةِ أَنَّ مَحْصُولَ الْقِيرَاطِ الْوَاحِدِ مِنْ حَدِيقَتِهِمْ يَزِيدُ عَلَى مَحْصُولِ جِيرَانِهِمْ عِدَّةَ أَضْعَافٍ ، فَفَسَّرُوا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ يَزْرَعُونَ فِى حَدِيقَتِهِمْ أَفْضَلَ الْبُذُورِ ، وَيُغَذُّونَهَا بِأَفْضَلِ أَنْوَاعِ السِّمَادِ ، وَيَبْذُلُونَ مَجْهُودًا يَزِيدُ عِدَّةَ مَرَّاتٍ عَلَى مَا يَبْذُلُهُ

جِيرَانُهُمْ فِى رِعَايَةِ حَدَائِقِهِمْ .. وَبِذَلِكَ يَزِيدُ مَحْصُولُهُمْ عَلَى مَحْصُولِ جِيرَانِهِمْ عِدَّةَ مَرَّاتٍ ، بِرَغْمِ أَنَّهُمْ يَتَصَدَّقُونَ مِنْهُ بِمِقْدَارِ الثُّلُثِ ..

وَظَاهِرَةٌ أُخْرَى لَاحَظَهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ وَأَبْنَاؤُهُ ، فَقَدْ نَقَصَ الْمَاءُ فِى عِدَّةِ مَوَاسِمَ مُتَتَالِيَةٍ ، وَهَلَكَ مُعْظَمُ زَرْعِ جَمِيعِ الْمُزَارِعِينَ ، فِيمَا عَدَا زَرْعَ حَدِيقَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ ، بَقِيَتِ الْحَدِيقَةُ عَلَى حَالِهَا بِرَغْمِ الْجَفَافِ الَّذِى لَحِقَ بِالْحَدَائِقِ الْأُخْرَى .. وَقَدْ نَقَصَ مَحْصُولُ الْجِيرَانِ فِى مَوَاسِمِ الْجَفَافِ الْمَذْكُورَةِ ، بَيْنَمَا بَقِىَ مَحْصُولُ حَدِيقَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ عَلَى حَالِهِ .. وَقَدْ عَلَّلَ الْأَبْنَاءُ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ الْغَرِيبَةَ أَيْضًا تَعْلِيلَاتٍ لَا تَتَّفِقُ مَعَ الْوَاقِعِ ..

وَظَاهِرَةٌ ثَالِثَةٌ لَاحَظَهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ وَأَبْنَاؤُهُ ، فَقَد نَقَصَ الْمَجْهُودُ الَّذِى يَبْذُلُونَهُ فِى رِعَايَةِ الْحَدِيقَةِ فِى السَّنَوَاتِ الْأَخِيرَةِ نَقْصًا مَلْحُوظًا ..

أَصْبَحُوا يَبْذُرُونَ الْبُذُورَ بِأَقَلِّ جَهْدٍ ، وَيَتَعَهَّدُونَهَا بِالرِّعَايَةِ مَرَّاتٍ قَلِيلَةً وَكَأَنَّ يَدًا خَفِيَّةً تُسَاعِدُهُمْ فِى عَمَلِهِمْ ، وَمَعَ ذَلِكَ تَأْتِى الثِّمَارُ جَيِّدَةً ، وَالْمَحْصُولُ وَفِيرًا .. وَقَدْ عَلَّلَ الْأَبْنَاءُ ذَلِكَ بِخُصُوبَةِ تُرْبَةِ أَرْضِهِمْ ، وَتَمَيُّزِهَا عَنْ أَرْضِ جِيرَانِهِمْ ..

أَمَّا الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَكَانَ يَعْرِفُ أَنَّ السَّبَبَ فِى كُلِّ هَذِهِ الظَّوَاهِرِ ، هُوَ الْبَرَكَةُ الَّتِى وَضَعَهَا اللهُ فِى حَدِيقَتِهِ ، جَزَاءً طَيِّبًا عَمَّا يَتَصَدَّقُ بِهِ مِنْ حَدِيقَتِهِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ ..

★ ★ ★

وَذَاتَ يَوْمٍ حَدَثَتْ ظَاهِرَةٌ غَرِيبَةٌ أَكَّدَتْ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ صِدْقَ تَفْسِيرَاتِهِ ، وَأَوْضَحَتْ لِلأَبْنَاءِ مَا غَابَ عَنْ فَهْمِهِمْ ..

فَقَدْ كَانَ رَجُلٌ غَرِيبٌ مُسَافِرًا فِى صَحْرَاءَ قَرِيبَةٍ مِنْ حَدِيقَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ ، كَانَتْ الشَّمْسُ مُحْرِقَةً ، وَالصَّحْرَاءُ تُلْقِى بِلَهِيبِهَا عَلَى الْمُسَافِرِ ، فَتَكَادُ تَحْرِقُ بَدَنَهُ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ .. وَفَجْأَةً لَاحَظَ الْغَرِيبُ الْمُسَافِرُ شَيْئًا غَرِيبًا .. فَجْأَةً اخْتَفَتِ الشَّمْسُ ، وَرَأَى الْغَرِيبُ الْمُسَافِرُ ظِلًّا كَثِيفًا يَتَحَرَّكُ عَلَى الرِّمَالِ أَمَامَهُ .. تَوَقَّفَ الْغَرِيبُ الْمُسَافِرُ ، وَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، فَرَأَى سَحَابَةً كَبِيرَةً تَتَحَرَّكُ فَوْقَ رَأْسِهِ ..

كَانَتِ السَّحَابَةُ سَوْدَاءَ كَثِيفَةً ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا مُحَمَّلَةٌ بِالْمَاءِ ، وَأَنَّهَا سَوْفَ تُمْطِرُ عَمَّا قَلِيلٍ .. هَكَذَا دَلَّتْهُ خِبْرَتُهُ .. تَعَجَّبَ الْغَرِيبُ الْمُسَافِرُ .. فَقَدْ كَانَ الْوَقْتُ صَيْفًا ، وَلَمْ يَكُنْ مَوْسِمَ الشِّتَاءِ ، حَيْثُ تَكْثُرُ الْأَمْطَارُ .. إِذَنْ كَيْفَ وَمِنْ أَيْنَ جَاءَتْ هَذِهِ السَّحَابَةُ ؟

هَكَذَا اسْتَمَرَّ الْغَرِيبُ الْمُسَافِرُ فِي خَوَاطِرِهِ وَتَأَمُّلَاتِهِ .. لَكِنَّ صَوْتًا آتِيًا مِنَ السَّحَابَةِ قَطَعَ عَلَيْهِ خَوَاطِرَهُ وَتَأَمُّلَاتِهِ .. فَقَدْ سَمِعَ الْغَرِيبُ الْمُسَافِرُ صَوْتًا كَالصَّوْتِ الْآدَمِيِّ ، لَكِنَّهُ يَأْتِى مِنْ نَاحِيَةِ السَّحَابَةِ .. كَانَ الصَّوْتُ يَأْمُرُ السَّحَابَةَ أَنْ تَتَّجِهَ إِلَى حَدِيقَةٍ قَرِيبَةٍ وَتُسْقِطَ مَطَرَهَا عَلَيْهَا لِتَسْقِيَهَا ..

قَالَ الصَّوْتُ لِلسَّحَابَةِ :

« اسْقِى حَدِيقَةَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ » ..

سَمِعَ الْغَرِيبُ الْمُسَافِرُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ، فَتَجَمَّدَ فِى مَكَانِهِ مِنَ الْخَوْفِ .. وَقَالَ لِنَفْسِهِ :







« هَلْ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ تَتَحَدَّثَ السَّحَابَةُ ، أَوْ يَتَحَدَّثَ صَوْتٌ إِلَى سَحَابَةٍ ؟ وَهَلْ السَّحَابَةُ كَائِنٌ يَعْقِلُ وَيَفْهَمُ حَتَّى يَسْمَعَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَيُنَفِّذَهَا ؟ » ..

وَبَيْنَمَا الْغَرِيبُ الْمُسَافِرُ ، شَارِدٌ فِى خَوَاطِرِهِ وَتَأَمُّلاتِهِ ، وَمَأْخُوذٌ مِنْ هَوْلِ مَا سَمِعَ ، رَأَى السَّحَابَةَ وَهِىَ تَتَحَرَّكُ مُسْرِعَةً ، وَكَأَنَّهَا تُنَفِّذُ الْأَمْرَ الصَّادِرَ إِلَيْهَا دُونَ إِبْطَاءٍ أَوْ تَأْخِيرٍ ..

تَحَرَّكَ الْغَرِيبُ الْمُسَافِرُ يُسْرِعُ الْخُطَى خَلْفَ السَّحَابَةِ الَّتِى سَبَقَتْهُ ، فَرَأَى السَّحَابَةَ قَدْ تَوَقَّفَتْ فَوْقَ جَدْوَلٍ جَافٍّ ثُمَّ أَخَذَتْ تُمْطِرُ ، حَتَّى امْتَلأَ الْجَدْوَلُ بِالمَاءِ ، وَفَاضَ بِهِ ، بَيْنَمَا اخْتَفَتِ السَّحَابَةُ وَعَادَتِ الشَّمْسُ إِلَى الظُّهُورِ بِضَوْئِهَا السَّاطِعِ مَرَّةً أُخْرَى ..



تَتَبَّعَ الْغَرِيبُ الْمُسَافِرُ الْجَدْوَلَ الَّذِى امْتَلأَ بِمَاءِ السَّحَابَةِ سَائِرًا بِحِذَائِهِ ، حَتَّى وَجَدَ رَجُلًا يَعْمَلُ بِفَأْسِهِ عَلَى فَتْحِ فَتَحَاتٍ فِى الْجَدْوَلِ لِيَنْفُذَ الْمَاءُ مِنْهَا إِلَى حَدِيقَتِهِ .. كَانَ هَذَا الرَّجُلُ هُوَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ ..

نَظَرَ الْغَرِيبُ الْمُسَافِرُ إِلَى الرَّجُلِ الصَّالِحِ ، ثُمَّ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةٍ مُهَذَّبَةٍ ، فَلَمَّا رَدَّ عَلَيْهِ التَّحِيَّةَ ، بَادَرَهُ الْغَرِيبُ الْمُسَافِرُ بِهَذَا السُّؤَالِ :

« هَلْ أَنْتَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ ؟ » .

فَرَدَّ عَلَيْهِ الرَّجُلُ الصَّالِحُ :

« نَعَمْ أَنَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ .. وَلَكِنْ بِاللهِ عَلَيْكَ يَا أَخِى لِمَ تَسْأَلُنِى عَنِ اسْمِى وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُنِى ؟ » .

فَقَالَ لَهُ الْغَرِيبُ الْمُسَافِرُ :







« لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتًا يَأْمُرُ السَّحَابَةَ ــ الَّتِى أَمْطَرَتْ هَذَا الْمَاءَ مُنْذُ قَلِيلٍ ــ أَنْ تَسْقِىَ حَدِيقَتَكَ .. بِاللهِ عَلَيْكَ هَلَّا أَخْبَرْتَنِى مَاذَا تَصْنَعُ فِى حَدِيقَتِكَ ، حَتَّى يُؤْمَرَ السَّحَابُ بِسَقْيِهَا دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْحَدَائِقِ ؟ » ..

تَبَسَّمَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ ، وَقَالَ لِلْغَرِيبِ الْمُسَافِرِ :

« أَمَا وَقَدْ سَأَلْتَنِى ، فَسَوْفَ أُخْبِرُكَ مَاذَا أَصْنَعُ فِى حَدِيقَتِى حَتَّى يَأْتِيَهَا الْمَاءُ سَهْلًا هَكَذَا ، بَيْنَمَا تَحْتَاجُ غَيْرُهَا مِنَ الْحَدَائِقِ إِلَى قَطْرَةِ مَاءٍ ، وَلَكِنْ اجْلِسْ لِتَسْتَرِيحَ وَتَتَنَاوَلَ طَعَامًا أَوَّلًا » .

جَلَسَ الْغَرِيبُ الْمُسَافِرُ ، فِى ظِلِّ شَجَرَةٍ ، بَيْنَمَا سَارَعَ الرَّجُلُ



الصَّالِحُ بِقَطْفِ بَعْضِ الثِّمَارَ الشَّهِيَّةِ النَّاضِجَةِ مِنْ حَدِيقَتِهِ ، وَقَدَّمَهَا لَهُ ، وَهُوَ يَقُولُ :

« تَفَضَّلْ كُلْ هَنِيئًا مَرِيئًا مِنْ ثِمَارِ حَدِيقَتِى » ..

تَنَاوَلَ الْغَرِيبُ الْمُسَافِرُ ثَمَرَةً وَقَضَمَهَا ، فَلَمَّا تَذَوَّقَ طَعْمَهَا بَانَتْ عَلَيْهِ السَّعَادَةُ ، فَقَالَ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ :

« مَا أَطْيَبَ هَذِهِ الثِّمَارَ ، وَأَلَذَّ طَعْمَهَا .. حَقًّا إِنَّهَا ثِمَارٌ شَهِيَّةٌ ، خَبِّرْنِى بِاللهِ عَلَيْكَ مَاذَا تَصْنَعُ فِى حَدِيقَتِكَ ؟ » .

فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ :

« لَا شَىْءٍ سِوَى أَنَّنِى أَنْظُرُ إِلَى مَحْصُولِهَا يَوْمَ حَصَادِهِ ، فَأُقَسِّمُهُ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ مُتَسَاوِيَةٍ ، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهِ ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِى ثُلُثَهُ ، أَمَّا الثُّلُثُ الْبَاقِى فَأَبِيعُهُ ، وَأُنْفِقُ مِنْهُ عَلَى زِرَاعَةِ الْحَدِيقَةِ وَرِعَايَتِهَا .. » .

تَعَجَّبَ الْغَرِيبُ الْمُسَافِرُ ، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الرَّجُلِ الصَّالِحِ ، وَيَقُولُ :

« سُبْحَانَ اللهِ .. مَا شَاءَ اللهُ .. بَارَكَ اللهُ لَكَ فِى حَدِيقَتِكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ » ..

وَبَيْنَمَا كَانَ الْغَرِيبُ الْمُسَافِرُ يَتَنَاوَلُ ثَمَرَةً أُخْرَى مِنَ الثِّمَارِ الشَّهِيَّةِ الَّتِى قَدَّمَهَا لَهُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ ، لَاحَظَ أَنَّ بَعْضَ الطُّيُورِ قَدْ حَطَّتْ فَوْقَ شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْهُمَا ، وَأَخَذَتْ تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ بِسَعَادَةٍ ، وَلَمْ يَهُشَّهَا بَعِيدًا عَنِ الثِّمَارِ ، بَلْ تَرَكَهَا تَأْكُلُ آمِنَةً دُونَ أَنْ يُعَكِّرَ صَفْوَهَا ، كَمَا يَفْعَلُ غَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِ الْحَدَائِقِ ..



فَقَالَ الْغَرِيبُ الْمُسَافِرُ :

« أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى حِيلَةٍ تُبْعِدُ عَنْكَ هَذِهِ الطُّيُورَ النَّهِمَةَ ، فَلَا تَأْكُلَ ثِمَارَ حَدِيقَتِكَ ؟ » ..

فَتَبَسَّمَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ وَقَالَ بِبَرَاءَةٍ :

« وَلِمَ أَطْرُدُهَا مِنْ حَدِيقَتِي يَا أَخِي ؟. إِنَّ مَا يَتَبَقَّى مِنْهَا يَفِيضُ عَنْ حَاجَتِي وَحَاجَةِ عِيَالِي » ..





فَتَبَسَّمَ الْغَرِيبُ الْمُسَافِرُ وَقَالَ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ :

« بَارَكَ اللهُ فِيكَ ، وَفِى حَدِيقَتِكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ ، وَأَكْثَرَ اللهُ مِنْ أَمْثَالِكَ » .

(تَمَّتْ)





